41 - { ألم تر أن ا يسبح له من في السماوات والأرض } قد تقدم تفسير مثل هذه الآية في سورة سبحان والخطاب لكل من له أهلية النظر أو للرسول A وقد علمه من جهة الاستدلال ومعنى { ألم تر } ألم نعلم والهمزة للتقرير : أي قد علمت علما يقينيا شبيها بالمشاهدة والتسبيح التنزيه في ذاته وأفعاله وصفاته عن كل ما يليق به ومعنى { من في السماوات والأرض } من هو مستقر فيهما من العقلاء وغيرهم وتسبيح غير العقلاء ما يسمع من أصواتها ويشاهد من أثر الصنعة البديعة فيها وقيل إن التسبيح هنا هو الصلاة من العقلاء والتنزيه من غيرهم قد قيل إن هذه الآية تشمل الحيوانات والجمادات وأن أثار الصنعة الإلهية في الجمادات ناطق ومخبر باتصافه سبحانه بصفات الجلال والكمال وتنزهه عن صفات النقص وفي ذلك تقريع للكفار وتوبيخ لهم حيث جعلوا الجمادات التي من شأنها التسبيح سبحانه شركاء له يعبدونها كعبادته D وبالجملة فإنه ينبغي حمل التسبيح على ما يليق بكل نوع من أنواع المخلوقات على طريقة عموم المجاز قرأ الجمهور { والطير صافات } بالرفع للطير والنصب لصافات على أن الطير معطوفة على من وصافات منتصب على الحال وقرأ الأعرج { والطير } بالنصب على المفعول معه وصافات حال أيضا قال الزجاج وهي أجود من الرفع وقرأ الحسن وخارجه عن نافع { والطير صافات } برفعهما على الابتداء والخبر ومفعول صافات محذوف : أي أجنحتها وخص الطير بالذكر مع دخولها تحت من في السماوات والأرض لعدم استمرار استقرارها في الأرض وكثرة لبثها وهو ليس من السماء ولا من الأرض ولما فيها من الصنعة البديعة التي تقدر بها تارة على الطيران وتارة على المشي بخلاف غيرها من الحيوانات وذكر حالة من حالات الطير وهي كون صدور التسبيح منها حال كونها صافات لأجنحتها لأن هذه الحالة هي أغرب أحوالها فإن استقرارها في الهواء مسبحة من دون تحريك لأجنحتها ولا استقرار على الأرض من أعظم صنع ا الذي أتقن كل شيء ثم زاد في البيان فقال : { كل قد علم صلاته وتسبيحه } أي كل واحد مما ذكر والضمير في علم يرجع إلى كل والمعنى : أن كل واحد من هذه المسبحات قد علم صلاة المصلي وتسبيح المسبح وقيل المعنى : أن كل مصلي ومسبح قد علم صلاة نفسه وتسبيح نفسه قيل والصلاة هنا بمعنى التسبيح وكرر للتأكيد والصلاة قد تسمى تسبيحا وقيل المراد بالصلاة هنا الدعاء : أي كل واحد قد علم دعاءه وتسبيحه وفائدة الإخبار بأن كل واحد قد علم ذلك أن صدوره منها على طريقة الاتفاق بلا روية وفي ذلك زيادة دلالة على بديع صنع ا سبحانه وعظيم شأنه كونه جعلها مسبحة له عالمة بما يصدر منها غير جاهلة له { وا عليم بما يفعلون } هذه الجملة مقررة لما قبلها : أي لا تخفى عليه طاعتهم ولا تسبيحهم

ويجوز أن يكون الضمير في علم ﷲ سبحانه : أي كل واحد من هذه المسبحة قد علم اﷲ صلاته وتسبيحه إياه والأول أرجح لاتفاق القراء على رفع كل ولو كان الضمير في علم ﷲ لكان نصب كل أولى وذكر بعض المفسرين أنها قراءة طائفة من القراء علم على البناء للمفعول